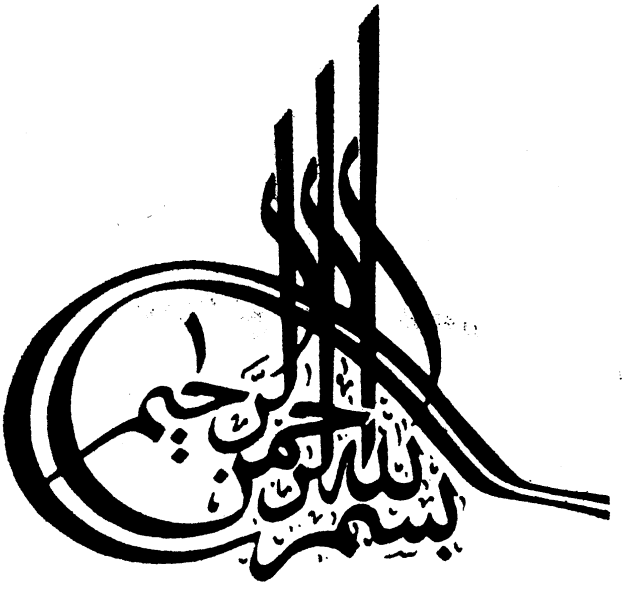
بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة للمحقق

دار المنـــار
للطبع والنشر والتوزيع
٩ شارع الباب الأخضر ميدان الحسين
ص ب ٦١ هليوبولس ـــ القاهرة

كتاب المناسك من الأسرار

لأبي زيد عبد الله بن عمر الدبوسي الحنفي

المتوفى سنة ٤٣٠ هـ

تحقيق

الدكتور نايف بن نافع العمري

الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية

المدينة المنورة

دار المنار

القسم الأول

الدراسة

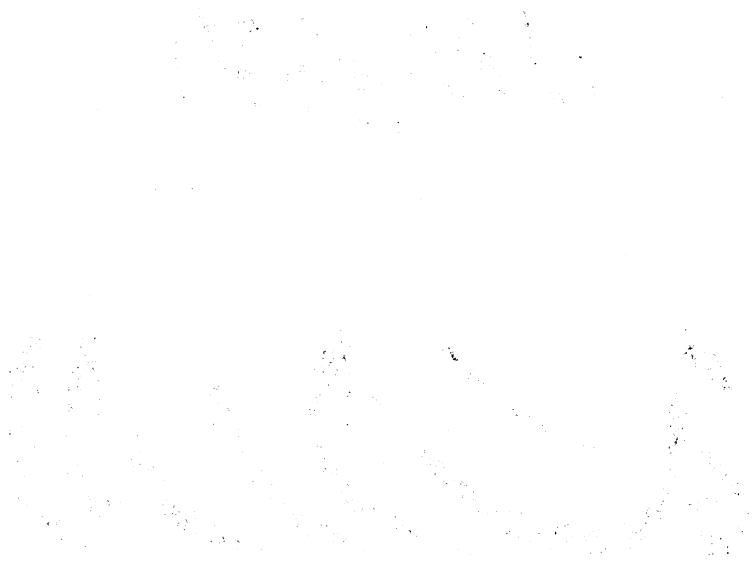

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .. وبعد :

فان هذا الجزء الذى نقدمه اليوم وهو — قسم المناسك — من الكتاب الكبير — الأسرار — لأبى زيد الدبوسى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ فى الخلاف بين الحنفية والشافعية وهو جزء مهم حيث أنه يتعلق بركن من أركان الإسلام ألا وهو الحج الى بيت الله الحرام كيف لا وهو ينظم العلاقة بين الخالق والمخلوق ولذلك أخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن جزاء الحاج فقال : (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) .

وقد بين الدبوسى رحمه الله مناسك الحج من أركان وشروط وواجبات وسنن ، المجمع عليه والمختلف فيه .

ولما رأيت أهمية هذه المناسك فى حياة الناس اليوم عقدت العزم على تحقيق هذا الجزء وإخراجه للقراء وقد سبق أن عشت مع هذا الكتاب سنوات فى أثناء تحقيقى لكتاب النكاح من الكتاب نفسه .

فرحم الله علماء الأمة الذين خلفوا هذا التراث العظيم ورحم الله امرأ أماط التراب والغبار عن هذا التراث وأخرجه للناس من أرفف المكتبات الخاصة والعامة .

وقد اكتمل تحقيق هذا الكتاب فى الجامعة الاسلامية ، وجامعة أم القرى تقريبا ولم يبق سوى أبواب قليلة فى طريقها الى التحقيق .

وهذا يعتبر من جهود الجامعتين فى تحقيق التراث الاسلامى .

وفق الله تعالى القائمين عليهما لكل خير وصلاح .

وقد قسمت عملى فى هذا الكتاب الى قسمين :

القسم الأول : يشتمل على الدراسة عن المؤلف ، وعصره[1] ، وعن الكتـــــاب .

القسم الثانى : تحقيق الكتاب وتحرير ما تيسر من مسائله فالله أسأل ان يوفقنا للاخلاص فى القول والعمل انه مجيب الدعوات .

د. نايف بن نافع العمرى

---

(١) هذه الدراسة قمت بها أثناء تحضيرى للدكتوراه وقد رأيت ان اثبتها فى مقدمة هذا الجزء لأنه اول جزء يطبع من الكتاب ، ولأن فيهـــا معلومات قيمة عن المؤلف وشيوخه وتلاميذه .

الباب الأول

« دراسة المؤلف وحياته وعصره »

وفيـــه ثلاثة فصـــول :

الفصل الأول : اسمه ونسبته وعصره .

الفصل الثانى : شيوخه وتلاميذه .

الفصل الثالث : مكانته العلميـة .

الفصل الأول

« اسمه ونسبته وأسرته وولادته ووفاته وعصره »

اســـــمه ونســـبته :

هو الامام القاضى الفقيه الأصولى عبيد الله بن عمر بن عيسى الدبوسى البخارى السمرقندى المكنى بأبى زيد[1] .

وبالاطلاع على مصادر ترجمة الدبوسى على قلتها مع شهرة الرجل التى سارت فى الأمصـــار نجد أنها اختلفت حتى فى اســـمه فبعض المصادر تقول انه (عبيد الله)[2] .

وبعض المصادر تقول انه (عبد الله)[3] .

---

(١) انظر ترجمته فى :
أعلام الاخيار ورقة ٤٧ مخطوط ، تاج التراجم ص ٣٦ .
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب (٣/٢٤٥ ، ٢٤٦) .
الأنساب للسمعانى (٥/٣٠٥ ، ٣٠٦) اللباب (١/٤٩٠) .
الفتح المبين للمراغى (١/٢٣٦) .
الجواهر المضيئة فى طبقات الحنفية (٢/٤٩٩) ، رقم الترجمة (٩٠١) .
وفيات الاعيان (٣/٤٨) رقم الترجمة (٣٣٣) .
البداية والنهاية (١٢/٤٦ ، ٤٧) . الفوائد البهية ص ١٠٩ .
معجم المؤلفين (٦/٩٦) . الفكر الســـامى (٤/١٧٩) رقم الترجمـــة ٤٤٧ .
الاعلام (٤/١٠٩) ، كشف الظنون (١/٤٦٧ ، ٥٦٨ ، ٧٠٣ ، ٨٤) .
مفتاح السعادة ومصباح السيادة (٢/١٨٤) .
العبر فى أخبار من غبر (٣/١٧٣) ، سير أعلام النبلاء (١٧/٥٢١) .
(٢) الجواهر المضيئة (٢/٤٩٩) رقم الترجمة ٩٠١ .
الفوائد البهية ص ١٠٩ . أعلام الاخبار ورقة ٤٧ مخطوط .
مفتاح السعادة (٢/١٨٤) .
كشف الظنون (١/٤٦٧ ، ٨٤ ، ٥٦٨ ، ٧٠٣) .
تاج التراجم ص ٣٦ .
(٣) الاعلام ٤/١٠٩ ، الفكر السامى ٤/١٧٩ ، وفيات الاعيان ٣/٤٨ — معجم المؤلفين ٦/٩٦ ، شذرات الذهب ٣/٢٤٥ ، الانساب ٥/٣٠٦ الفتح المبين ١/٢٣٦ ، العبر فى اخبـــار من غبر ٣/١٧١ ، ســـير أعـــلام النبلاء ١٧/٥٢١ ، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ١/٥٦٨ — اللبـــاب فى تهـــذيب الانساب ١/٤٩٠ ، الجواهر المضيئة ٢/٣١٩ .

والبعض الآخر جمع بين الاسمين[1] .

وبالنظر الى هذه المصادر نجد ان كتب الحنفية المترجمة لفقهاء الحنفية عبر التاريخ تقول ان اسمه (عبيد الله) .

وقد صرح باسمه فى كتاب الأسرار فقال : « فى المقدمة بعد البسملة والحمد له فى السطر الأول « قال القاضى الإمام أبو زيد عبيد الله بن عمر بن عيسى الدبوسى هذا كتاب[2] ... » .

وقال عند مسائل المسح على الخفين : « قال عبيد الله رضى الله عنه ومسائل الخف تبنى على أصل[3] ... » .

وقد كتب على اوائل النسخ بان الكتاب لأبى زيد عبيد الله بن عمر الدبوسى[4] .

نسبته :

نسب الامام الدبوسى الى (دبوسية) البلدة التى ولد فيها وقد ينسب الى سمرقند أو الى بخارى .

وكل من ترجم له يقول : ان هذه النسبة (دبوسية) بفتح الدال وضم الباء وواو ساكنة وسين مهملة[5] .

---

(١) كما فى تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين فقال : « هو ابو زيد عبد الله (عبيد الله) ابن عمر الدبوسى ١١٦/٢ .
(٢) كما فى النسخة الام مراد ملا .
(٣) الأسرار ١٣/١/أ نسخة عارف حكمت .
(٤) ففى نسخة مراد ملا (الجزء الأول من أسرار الفقة للشيخ الامام العلامة المحقق أبى زيد عبيد الله الدبوسى) .
وفى نسخة فيض الله افندى « كتاب الأسرار للدبوسى تأليف العالم الفاضل الكامل أبى زيد عبيد الله بن عمر الدبوسى » .
وفى نسخة تشربيى كتاب الجزء الثالث من الأسرار للامام أبى زيد عبيد الله بن عمر الدبوسى .
(٥) الانساب ٣٠٥/٥ ، شذرات الذهب ٢٤٥/٣ ، اعلام الاخيار ورقة ٤٧ مخطوط مفتاح السعادة ١٨٤/١ .

وقال ياقوت[1] فى معجم البلدان[2] :

دبوسية بليدة من أعمال الصفد من ما وراء النهر .

وقيل : بلدة بين بخارى وسمرقند[3] .

وقد نسب الى هذه البليدة جماعة من المحدثين والفقهاء منهم :

١ — أبو نصر الدبوسى نسبته الى دبوسية قرية بسمرقند امام كبير من أئمة الشروط[4] .

٢ — أبو القاسم محمود بن ميمون الدبوسى . كان فاضلا فقيها من فقهاء الشافعية ودرس فى المدرسة النظامية رحل الى نيسابور ثم رحل الى مرو وسكنها حتى توفى بها سنة ٥٣٣ هـ [5] .

٣ — أبو القاسم على بن المظفر بن حمزة بن زيد بن محمد العلوى الحسينى الدبوسى الشافعى كان متبحرا فى الفقه والأصول واللغة والنحو والنظر والجدل قدم بغداد سنة ٥٧٩ هـ للتدريس بالمدرسة النظامية فدرس بها الى ان مات سنة ٤٨٢ هـ [6] .

---

(١) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى الجنس والمولد والحموى المولى البغدادى الدار الملقب بشهاب الدين أسر من بلاده صغيرا وابتاعه رجل ببغداد له كتب كثيرة منها معجم البلدان ، ومعجم الشعراء ومعجم الأدباء . توفى سنة ٦٢٦ هـ وفيات الاعيان ١٢٧/٦ ، ١٣٨ .

(٢) معجم البلدان ٤٥/٥ .

(٣) الانساب ٣٠٥/٥ ، شذرات الذهب ٢٤٥/٣ ، اعلام الاخيار ورقة ٤٧ مخطوط الجواهر المضيئة ٥٠٠/٢ ، وفيات الاعيان ٤٨/٣ ، البداية والنهاية ٤٦/١٢ ، ٤٧ ، مفتاح السعادة ١٨٤/٢ ، طبقات الشافعية للسبكى ٢٩٦/٥ ، تاج التراجم ص/٣٦ .

(٤) الفوائد البهية ص/٢٢١ ، أعلام الاخيار ورقة ٣٨ مخطوط الجواهر المضيئة ٢٦٨/٢ .

(٥) طبقات الشافعية للسبكى ٣٥٠/٤ ، الانساب ٣٠٨/٥ ، اللباب ٤١٠/١ .

(٦) طبقات الشافعية للسبكى ٢٩٦/٥ ؛ ٢٩٨ والانساب ٣٠٨/٥ — ٣٠٩ .

٤ ــ ابو سليمان بن ظليم بن حطيط بن داود بن سليمان بن مهنى ابن عبد الله بن شجاع الازدى الجهضمى الدبوسى كان فاضلا خيرا ثقة من أهل السنة رحــل الى العراق وكتب الكثير ، يروى عن مسلم ابن ابراهيم الفراهيدى وغيره وروى عنه محمد بن اسماعيل البخارى مات سنة ٢٥٢ هـ بالدبوسية[١] .

٥ ــ احمد بن عمرو بن دبوسه الدبوسى نسب الى جده (دبوسه) وليس هو من (دبوسية البلدة)[٢] .

٦ ــ أبو الفتح ميمون بن محمد بن عبد الله بن بكر بن مســج الدبوسى من أهل دبوسية سكن مرو شيخ صالح ورع صدوق تفقــه على عبد الرحمن السرخسى مات سنة ٥٣٥ هـ [٣] .

أســــــــرته :

لم تحدثنا كتب التاريخ والتراجم عن أسرة أبى زيد الدبوسى لا عن نســبها ولا عن أعمالها لا بقليــل ولا بكثير إلا إشــارات من الدبوسى نفسه فى التقويم ، والأسرار .

ففى التقويم يقول لمــا استعرض أقوال العلماء فى الإحتجاج بلا دليل فقال قال بعض العلماء : لا دليل حجة للنافى على خصــمه ولا يكون حجة للمثبت وكان أبى رحمه الله على هذا يحكيه عن مشايخ العراق ا . هـ تقويم الادلة ص ٦٤٦ مخطوط .

وقال فى الأسرار ١/١٩/١ فى الجزء الأول من الأسرار :

« سمعت والدى عمر بن عيسى يحكى عن أبى عمر غلام ثعلب ببغداد يحكى عن ثعلب انه قال : البشرة الجلدة التى تقى اللحم عن الاذى » ا . هـ .

وهذا دليل على أنه من أسرة اهتمت بالعلم ومجالسة العلمــاء والأخــذ عنهم ومع ذلك أغفلت كتب التراجــم مثل هؤلاء العلمــاء ما الأسباب ؟ الله أعلم .

ومن هذا النوع الكثير والكثير من العلماء الذين أغفلهم التاريخ ولم يشر اليهم .

---

(١) الانساب ٥/٣٠٦ ، ٣٠٧ ، اللباب ١/٤٩٠ .
(٢) الانســـاب ٥/٣٠٩ ، اللباب ١/٤٩١ .
(٣) الانســـــاب ٥/٣٠٧ .

ولادتـــــه :

كما سبق ان قلنا ان المصادر التاريخية لم تذكر شيئا عن أسرته كذلك لم تذكر شيئا عن ولادته الا انها ذكرت سنة وفاته عام ٤٣٠هـ [١] على خلاف فى ذلك كما سيأتى فى الوفاة . وتقول انه عاش من العمر ثلاثا وستين سنة[٢] الا أن بعض المصادر تذكر ان وفاته سنة ٤٣٢ هـ [٣] .

قال القرشى[٤] فى جواهرة : ورأيت بخط ابن الظاهرى : توفى يوم الخميس منتصف جمادى الآخرة من سنة ٤٣٢ هـ [٥] .

ويظهر ان وفاته كانت سنة ٤٣٠ هـ لأمور :

ـ أكثر من أرخواله ذكروا ذلك .

ـ ان ابن الأثير نقل انه ولد سنة ٣٦٧ هـ [٦] .

وفـــاتـــه :

توفى الدبوسى يرحمه الله سنة ٤٣٠ هـ من الهجرة النبوية فى مدينة بخارى[٧] ودفن هناك فى مقبرة القضاة السبعة[٨] .

---

(١) كشف الظنون ٧٠٣/١ ، شذرات الذهب ٢٤٥/٣ ، الانساب ٣٠٦/٥ الجواهر المضيئة ٥٠٠/٢ رقم ٩٠١ ، وفيات الاعيان ٤٨/٣ رقم ٣٣٣ ـ البداية والنهاية ٤٦/١٢ ، ٤٧ ، سير أعلام النبلاء ٥٢١/١٧ ، العبر فى اخبار من غبر ١٧١/٣ ، مفتاح السعادة ١٨٤/٢ .

(٢) الجواهر المضيئة ٤٩٩/٢ ، تاج التراجم ص/٣٦ .

(٣) كشف الظنون ٨٤/١ ، ٥٦٧ .

(٤) هو عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم محى الدين

(٥) الجواهر المضيئة ٥٠٠/٢ .

(٦) اللبـــــاب ٤٩٠/١ .

(٧) وفيات الاعيان ٤٨/٣ رقم ٣٣٣ ، الجواهر المضيئة ٥٠٠/٢ اللباب ٤٩٠/١ ، مفتاح السعادة ١٨٤/٢ ، سير أعلام النبلاء ٥٢١/١٧ ، تاج التراجم ص ٣٦ .

(٨) الجواهر المضيئة ٧/١ .

قال السمعانى : توفى ببخارى فى سنة ٤٣٠ هـ ودفن بقرب الإمام أبى بكر بن طرخان[١] وزرت قبره غير مرة[٢] .

عصر المؤلف :

لقد عاش الدبوسى من (٣٦٧ ــ ٤٣٠) وهو الثلث الأخير من القرن الرابع والثلث الأول من القرن الخامس وكان هذا العصر مليئا بالأحداث والفتن ، ونريد أن نعطى القارىء نبذة عن هذا العصر بإيجاز فى كل من الناحية السياسية والاجتماعية والثقافية لأن لهذه الأمور علاقة بالشخص فهى تؤثر عليه فى سلوكه وأخلاقه ومعاملته وثقافته واتجاهه الفكرى فنبدأ بالحالة السياسية :

كانت بغداد مركز الخلافة الاسلامية الفعلى للخلفاء فى عصر بنى العباس ولها السيطرة التامة على كل انحاء الدولة الاسلامية المترامية الأطراف من حدود الصين الى المحيط الاطلسى ويتمثل ذلك فى قولة هارون الرشيد المشهورة وهو يخاطب السحابة « امطرى حيث شئت فان خراجك سيأتينى » .

وكان بها مركز العلم والمعرفة والثقافة والتشجيع من قبل الخلفاء للعلماء على البحث والمعرفة وهذا ما حصل فى أيام المأمون وانشائه لدار الحكمة ببغداد لولا ما نتج عنها من فتنة القول بخلق القرآن التى راح ضحيتها كثير من العلماء الذين يقتدى بهم . ولقد عاش الدبوسى فى فترة تاريخية تعرف بدور البويهيين[٣] فى دولة بنى العباس نسبة الى بويه وهى أسرة من الفرس وقد عظم أمر هذه الأسرة حتى أصبحت فيما بعد مقاليد الحكم بأيدى أفرادها يولون ويعزلون ما يشاءون من الخلفاء .

---

(١) محمد بن جعفر بن طرخان أبو بكر الاستراباذى كان من الفقهاء ثقة فى الرواية مات بعد سنة ٣٦٠ هـ وكان أبو جعفر من اجلاء الفقهاء وكان ثقه فى الحديث وله تصانيف فيه .
الفوائد البهية ص/١٦٢ .
(٢) الانساب ٥/٣٠٦ .
(٣) ابتداء هذا الدور من سنة ٣٣٤ هـ وينتهى بدور السلاجقة سنة ٤٤٧ هـ ــ انظر البداية والنهاية ١١/١٧٢ .

وقد ضعف أمر الخلفاء فى عهد البويهيين ابتـــداء بالمستكفى[1] وانقسمت الدولة الى دويلات وولايات وأصبح هناك ثلاثة خلفاء خليفة عباسيا فى بغداد وخليفة فاطميا فى مصر وخليفة أمويا فى الاندلس .

ولمـــا رأى الخليفة العباسى انه لا حول ولا قوة ولا سلطان أخذ يخلع على بنى بويه الفاظ التعظيم مثل ركن الدولة وبهاء الدولة وعضد الدولة وقد خطب لعضد الدولة على المنابر ولقب بشـــاهنشاه (ملك الملوك) فى الاسلام وأصبح البويهيون بعده يلقبون بهذا اللقب[2] . وقد استهانوا بالخلفاء حتى انه فى سنة ٣٨١ هـ قبض بهـــاء الدولة البويهى على الخليفة الطائع وانزله عن سرير الخلافة والخليفة يقول « انا لله وانا اليه راجعون » فيستغيث ولا يلتفت اليه وأخذ ما فى دار الخلافة من الذخائر ونهب الناس بعضهم بعضا . وولى بعده الخليفة القـــــادر بالله[3] .

وهذا الضعف فى مركز الخلافة نتج عنه انتشار الفوضى والرعب وعدم الاستقرار حتى فى دار الخلافة نفسها وانقطع الحج الى بيت الله الحرام من بلاد خراسان والعراق لمدة تقرب من أربعة وعشرين عاما متقطعة خلال هذه الفترة[4] .

الحـــــالة الاجتمـــاعية :

الحالة الاجتماعية ترتبط ارتباطا وثيقا بالحالة السياسية ، فاذا كانت الحالة السياسية مضطربة وغير مستقرة كما قدمنا سابقا فان الحالة الاجتماعية أو ما يعبر عنه فى هذا العصر بالإقتصاد والدخـــل وحركة الإيراد والتصدير أسواء حالا .

ففى بغداد سنة ٣٨١ هـ وقع غلاء شديد حتى أكل الناس الميتـــة والســـنانير والكلاب وكان من النـــاس من يسرق الاولاد فيشـــويهم ويأكلهم .

---

(١) المستكفى بالله عبد الله بن المكتفى بن المعتضد قبض عليه معـــز الدولة البويهى وسمل عينيه سنة ٣٣٤ هـ وانظر : تاريخ الأدب العربى ــ عصر الدول والامارات ص/٢٣٤ شوقى ضيف ــ البداية والنهاية ١١/٢١٠ .

(٢) المرجع السابق ، البداية والنهاية ١١/٢٩٩ .

(٣) الكامل لابن الاثير ٩/٧٩ ، البداية والنهاية ١١/٣٠٨ .

(٤) الكامل لابن الأثير والبداية والنهاية حوادث سنة ٣٦٣ هـ الى ٤٢٩ هـ

وكثر الوباء فى الناس حتى كان لا يدفن أحد أحداً بل يتركون على الطرقات فيأكل كثير منهم الكلاب ، وبيعت الدور والعقار بالخبز وارتحل الناس الى البصرة فكان منهم من مات فى الطريق ومنهم من وصل اليها بعد مدة مديدة[1] . أما الطبقة الحاكمة من الخلفاء والوزراء والاغنياء فنرى انهم ينفقون هذه الأموال بأسراف وبذخ فى سبيل لذاتهم وشهواتهم فهذا الخليفة الطائع يتزوج ابنة عز الدولة (بختيار) البويهى على صداق مبلغه مائة ألف دينار[2] .

ولما قبض يمين الدولة محمود بن سبلتكين على مجد الدولة البويهى أخذ من الأموال ألف ألف دينار ومن الجواهر ما قيمته خمسمائة ألف دينار ومن الثياب ستة آلاف ثوب ومن الآلات وغيرها مالا يحصى .. [3] .

وهكذا كانت حالة المجتمع منقسمة الى طبقتين : طبقة الخلفاء والولاة والأغنياء ، وهؤلاء ينفقون الأموال فى سبيل شهواتهم فى اللهو والطرب والغناء والنساء بلا حدود[4] .. والطبقة الأخرى طبقة العامة يتعرضون للجوع والغلاء الفاحش وذلك بأسباب الظلم والفساد وغفلة الحاكم وانشغاله فى شهوات نفسه عن المحكومين ومن استرعاه الله عليهم .

الحالة الثقافية :

بالرغم من الضعف الذى أصاب الخلافة الاسلامية فى هذا العصر ، فان حركة التعليم لم تتوقف بل بقيت بفضل رحلات العلماء الى البلدان وأخذهم للعلم والأخذ عنهم مع أن الخلفاء قد عنوا بانشاء مكتبات عامة مثل دار الحكمة ببغداد والتى أنشأها الخليفة المأمون .. والجامع الأزهر بمصر الذى بناه الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله ويعتبر أكبر جامعة اسلامية فى الوقت الحاضر لنشر الاسلام فى أنحاء المعمورة .. وهناك المكتبات التى بناها الخلفاء الأمويون فى الاندلس يضاف الى ذلك المكتبات الخاصة فى بغداد ومرو وخراسان وبخارى والشام وغيرها .

---

(١) البداية والنهاية : ٢١٣/١١ .
(٢) **وفيات الاعيان** : ٢٦٧/١ ، البداية والنهاية : ٢٩٥/١١ .
(٣) الكامل : ٣٧١/٩ .
(٤) الكامل ٣٧٢/٩ (وقد وجد عند مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه صاحب الرى السالف الذكر خمسين امرأة من الحرائر .

ففى بغداد مثلا :

وقف سابور بن ازدشير فى سنة ٣٨١ هـ ـ وقد توزر لبهاء الدولة ثلاث مرات ، ووزر لشرف الدولة ـ داراً للعلم وجعل فيها كتبـا كثيرة جدا ، ووقف عليها غلة كبيرة فبقيت سبعين سنة وأحرقت عند مجىء الملك طغرل بك سنة ٤٥٠ هـ[١] . ومكتبة الصاحب بن عباد كانت كبيرة جدا حتى أنه كان يحتاج فى نقلها الى أربعمائة جمل[٢] .. هذا عن المكتبـات .

أما العلماء والفقهاء فان مجالسهم كانت عامرة فى هذه البلدان بطلبة العلم والمعرفة فهذا أبو الطيب الصعلوكى الشافعى يوضع فى مجلسه أكثر من خمسمائة محبرة سنة ٣٨٧ هـ وقد توفى سنة ٤٠٣ هـ[٣] .

وقد ازدهر الفقه فى القرن الثانى والثالث لأنه عصر اجتهاد تميز بمجتهدين أمثال الأئمة الأربعة وأصحاب المدارس الفقهية الأخـرى أمثال الطبرى وابن المنذر وأبى عبيد ، وتأليف الكتب وعقد المناظرات بين المجتهدين طلبا للحق والصواب .

أما الفقه فى هذا القرن أعنى القرن الرابع فيعتبر فى حالة ركود جنح العلماء فيه الى تقليد الأئمة رحمهم الله وألفت فيه المختصرات[٤] وعكف عليها المتأخرون الى عصرنا الحاضر بالشرح والحواشى .

ولقد كان الخلاف فى هذا القرن على أشده بين مقلدى الإمام الشافعى ، وبين مقلدى الإمام أبى حنيفة رحمهما الله فأقيمت المناظرات ببخارى وسمرقند وخراسان ونيسابور[٥] من أجل أن ينتصر أحـد المذهبين على الآخر ، ويدل عليه قول أبى زيد فيما نقله عنه الشـافعية انه قال : « لولا ابو سهل الأبيوردى ما تركت للشافعية فيما وراء النهر مكشف رأس »[٥] . وألفت الكتب على هذا النمط ومنها كتاب الأسرار الذى نحقق جزءا منـه وكتاب المـاوردى وكتاب النكت للشـيرازى وغيرهمـا .

---

(١) البداية والنهاية ١٩/١٢ ، الكامل ٣٥٠/٩ .
(٢) الكامل : ١١٠/٩ .
(٣) طبقات الشافعية للسبكى : ٣٩٣/٤ ، ٣٩٤ .
(٤) الفكر السامى : ٣٩٨/٢ .
(٥) طبقات الشافعية للسبكى : ٣٦٧/٥ .

الدبوسى وعصر التقليـــد :

رغم آفة التقليد التى انتشرت بين الفقهاء فى القرن الرابع ، وقد نادى بها أحد الفقهاء وهو أبو الحسن الكرخى فيما ينسب اليه فقال :

« كل آية أو حديث لا يوافق أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ »[1]

على نقيض هذا تماما الإمام أبو زيد الدبوسى فقد شن حملة لا هوادة فيها على التقليد والمقلدين ووصفه بأنه رأس الجهل والضلال واستمع اليه وهو يقول فى مقدمة كتاب الأسرار « ... وخالفت بها جل أهل دهرى واعرضت عن سائر الفنون ولم أقنع بالظنون وجعلت الحجج أمامى لا الرجال وبالحجاج خصامى لا بالجدال » .

ويقول فى التقويم :

« خلق الله تعالى بنى آدم على الفطرة وانما استدرجهم ابليس على الضـــلال بطرق الحق ورأس الطرق التقليد فقـــلد العالم عالمـــاً إيهاماً لرأيه وإتباعاً لفقهه وظنه دينـــا وما دعاه اليه إلا الكســـل فانه لو اجتهـــد لوفـــق لمثـــله . وأمـــا الجاهـــل فقلد عالمـــا يســـمعه بخير استدلال على فقه فاذا قد قلد جاهلا فضل ثم قد قلد إياه وأهل زمانه حتى عبدوا الأحجار وما تبدلت الأديان إلا بتقليد العامة علماء السوء فانهم لمـــا قلدوا وأحبوا الرياسة ومما رأه علماء الحق أبدعوا ما حسن لدى العامة وطعنوا فى متبعى السنة حتى تبدل الدين بأجله .. فالتقليد رأس الجهل ... وكان الناس فى الصدر الأول أعنى الصحابة والتابعين والصالحين رضى الله عنهم أجمعين .. يبنـــون أمرهم على الحجة فكانوا يأخذون بالكتاب ثم السنة ثم اقوال من بعد الرســـول ما يصح بالحجة فكان الرجل يأخذ بقول عمر فى مسألة ثم يخالفه لقول على فى مسألة أخرى ، وقد ظهر من أصحاب أبى حنيفة انهم وافقوه مرة وخالفوه أخرى على حسب ما يتضح لهم بالحجة ولم يكن المذهب فى الشريعة عمريا ولا علويا بل النسبة كانت الى الرسول عليه السلام فقـــد كانوا قوماً أثنى عليهم النبى عليه الســـلام بالخبر فكانوا يرون الحجة لا علماءهم ولا نفوسهم .

فلما ذهبت التقوى عن عامة القرن الرابع وكسلوا عن طلب الحجج جعلوا علماءهم حجة واتبعوهم فصار بعضهم حنفيا وبعضهم مالكيـــا

---

(١) رسالة أبى الحسن الكرخى مطبوع مع تأسيس النظر لأبى زيد الدبوسى ص ١١٦ .